تقاليد الزواج وأصولها النفسية

للدكتور عطية الله

— ٤ —

الزواج الفردي — الحب والزواج — تعدد الزوجات — الاسباب الداعية اليه — تعدد الازواج — الزواج الجمعي — زواج المباطلة — المهر وتطوره — احصائيات عن تعدد الزوجات وعن التزاوج في مصر

بين من يحصل هذا التعاقد ، او بمعنى آخر مَنْ هما الطرفان في الزواج ؟ لان الزواج كأي تعاقد لا بد له من طرفين . ولعل اسرع ما يتطرق الى الذهن ان الطرفين رجل وامرأة ، أو إذا توسعنا قلنا رجل واحد واكثر من زوجة ، وهذا ما نعرفهُ بتعدد الزوجات . ولكن هل هذا كل ما هنالك ؟ كلا ! فكما أن هنالك تعدد للزوجات . فهنالك أيضاً تعدد للازواج . أي انهُ قد يكون لعدة رجال زوجة واحدة ، كما ان هنالك زواج جمعي اي ان مجموعة من الازواج واخرى من الزوجات تتضامن وتشترك في عقد الزواج . والتقاليد الدينية التي تحرم هذا او تحلل ذلك ، تعتمد كثيراً على أسس سيكلوجية ، واقتصادية في وقت واحد لذلك نرى ان خروج الفرد على هذه النصوص كثيرٌ ، ومنتشر ، لانهُ ليس من الميسور أن تطبق الحالات او النظريات العامة على الافراد او الشعوب المختلفة ، دون مراعاة لمؤثرات البيئة

فاذا نظرنا الى الشعوب الهمجية . وجدنا أن الزواج الفردي ، وتعدد الازواج منتشر بينها لما للبيئة وللحالة الاقتصادية من اثر في نظمها

فالشعوب التي تعتمد على الصيد ، أو ذات البيئة الجبلية ، او التي تعتمد على الصناعة ، او التجارة او البلاد الفقيرة ينتشر عادة بين اعضائها الزواج الفردي ، ولو كانت في دور الهمجية

ففي مثل هذه الشعوب حيث تكون تكاليف المعيشة باهظة ، لا يتسنى لكل فرد ان يعول فيها من الزوجات اكثر مما يلزمهُ . لهذا نجد ان الزواج الفردي كان منتشراً في اكثر انحاء القارة الاوربية منذ اقدم الازمنة ، وان كان قد تحدد منذ عهد الرومان ، ثم عند انتشار المسيحية . ولا ريب في أن الزواج الفردي اقرب الى الطبيعة لان علاقة الصداقة لا تتوثق ولان تبادل الحب لا ينمو عادة إلا بين فردين فقط

أما عند كثير من الشعوب كالتي تعتمد على رعاية الاغنام ، او على الزراعة والتي تتطلب بحكم بيئتها كثرة الايدي العاملة ، نجد ان تعدد الزوجات هو التقليد المتعارف بينهم ، لاسيما وان كثرة النسل وازدياد عدد افراد العائلة مظهر من مظاهر القوة والسيادة ، كما هو الحال

عند الشعوب التي تعيش متفرقة كالعشائر او القبائل التي تقطن البادية . ومما يساعد على تعدد الزوجات قلة مطالب المعيشة او وفرة الحاصلات الغذائية

بل ان بين الشعوب المنتشر فيها الزواج الفردي ، نرى ان تعدد الزوجات معروف بين الطبقات الثرية ، كالامراء والملوك . ففي القرن السادس نقرأ عن ملوك ارلندا ، ان المتعارف بينهم ان يكون لكل منهم زوجتان ، وكذلك الحال في الممالك السلافية (الصقلبية) المختلفة

ثم ان في بعض الحالات الشاذة كالحروب مثلاً التي تنتهي عادة بفقد عدد كبير من الرجال ينتشر تعدد الزوجات بطبيعة الحال ، كما حصل ذلك بعد حرب الثلاثين سنة لما صدر قانون في بعض مناطقات المانيا يحتم على كل رجل الزواج باثنتين على الاقل

ويجب ألاّ نغض النظر عن الصعوبات التي تعترض الشعوب او الديانات عند تطبيق قوانين الزواج الفردي ، وذلك لأن هذه القوانين مبنية على اساس ان نسبة عدد الرجال الى عدد النساء في العالم متقاربة ، ولكن كيف يمكن تطبيق هذا على بعض الشعوب التي يزيد فيها عدد النساء كثيراً عن عدد الرجال ؟ كما حدث نتيجة للحرب العالمية الاخيرة في اوربا

ونتيجة ذلك كما يقرر الفيلسوف الانكليزي برتراند رسل — « ان فوضى اخلاقية كبيرة عمت اوربا ، يندر ان نجد رجلاً متزوجاً من دون ان تكون له علاقات جنسية باخرى » . ولكن العلاقة الزوجية يجب ان تكون اوثق اساس للمحافظة على الزواج الفردي لاننا نجد حتى بين تلك الشعوب التي تسمح التقاليد فيها للملوك ومن في مقامهم بتعدد الزوجات انهم يميزون عادة واحدة من بين نسائهم العديدات ويدعونها « بالزوجة الاولى »

وكتب علم حضارة الانسان ممتلئة بذكر امثال هذا . فسليمان الحكيم مع ما نسمعه به من الحكمة نعرف عنه انه قد كانت له الف زوجة . ولكن من المشاهد لا سيما بين الشعوب الهمجية كما في غرب افريقيا ان لبعض امراء الزنوج نحو ٣٣٣٣ زوجة !

ثم هنالك النوع الثالث من العلاقات الزوجية وهو تعدد الازواج : بمعنى ان تكون هنالك زوجة واحدة لمجموع من الازواج في وقت واحد . وهذه التقاليد وان لم تكن عامة الانتشار كالنوعين الاولين الاّ انها معروفة بين كثير من الشعوب ، بل هي شائعة الى الآن في بلاد التبت . والعادة هنالك ان يكون الازواج اشقاء او اقارب ، فاذا تزوج رجل بفتاة فبحكم العرف تصبح هذه الفتاة زوجة ايضاً لاشقائه ، ويعرف اكبر الاشقاء سناً « بالزوج الاول » واليه ينسب الابناء . والاسباب التي حدت الى ايجاد مثل هذه التقاليد عديدة : اهمها عدم التناسب بين عدد الفتيات والرجال في القبيلة في حين ان التقاليد تمنع الزواج من خارج هذه القبيلة . ثم فقر البلاد وقلة الموارد الاقتصادية التي تضطر افرادها الى الاقلال من عدد النسل ، لكي يمكن رعايته — او قد يكون السبب فقر العائلة بمعنى ان الرجل يكون عاجزاً عن

اقتناء زوجة اذا كان التبادل التجاري هو اساس الزواج — وكذلك كثرة غياب الازواج سواء في القنص في الغابات ام في الحروب والغارات التي تنشب دواماً بين هذه القبائل . وهذا النوع من الزواج يكون عادة سبباً لظاهرة اجتماعية اخرى وهو الزواج الجمعي . ومعناه ان مجموعاً من الازواج والزوجات يشتركون معاً في تكوين اسرة واحدة . وهذا يحدث نتيجة لتعدد الازواج . فالاقرباء الذين يتضامنون مع واحد منهم في زواجه بفتاة ، يصبح له هذا الحق اذا تزوج احد اشقائه او اقاربه . وقد ذكر يوليوس قيصر وصفاً لمثل هذا النوع من الزواج في انكلترا عند غزوه لها . اما الاطفال فينسبون الى الزوج الاول

ولا يحصل الاتفاق أو التعاقد في غالب الاحيان مجاناً ، إذ أنه لا بد من دفع ثمن لهذه المرافقة لا سيما لوالد العروس الذي يفقد بزواج فتاته فرداً من افراد عائلته كان له عوناً في الأعمال المنزلية — لهذا السبب نرى تبادل الزوجات شائعاً في كثير من الشعوب الهمجية، بمعنى أن الزوجين يتبادلان اختيهما . فالفتى الذي لديه أخت أسعد حظاً في العثور على زوجة له ، لاسيما عند القبائل التي تحظر التزاوج باجنبيات عنها

فاذا تعذر التبادل وجب دفع ضريبة أو دية أو ثمن للزوجة، وهذا الثمن يدفع للأب ويكون عادةً من بين الادوات ذات الفائدة له . وإذا تعذر ايضاً دفع ثمن للزوجة فقد يستعاض عنهُ بخدمة يؤديها الرجل لعائلة الزوجة — ومن المعروف لدينا ان موسى قد تزوج ابنة شعيب بان استخدمه هذا في عمله ومأونه فيه سنين

وهذه المدة لا تقل عادةً عن عام واحد وقد تبلغ خمسة عشر عاماً أو حتى ولادة الطفل الاول

وقد لا يكون الغرض من هذه الخدمة دفع ثمن للزوجة ، ولكنه يتخذ دليلاً على قدرة الزوج على العمل وعلى إعالة زوجته . لذلك نرى ان الزوج الجديد كثيراً ما تطلب منه أشق الاعمال ، ثم انه لا يعامل من افراد اسرة زوجته الجديدة إلا بكل قسوة، فلا يعطى إلا أحقر الاطعمة ولا ينام الا على الارض في أقذر مكان كما هي الحال في بعض جزائر الهند الشرقية

وهذا المبلغ الذي يدفعهُ الزوج لوالد الفتاة يأخذ اوضاعاً مختلفة ، فقد يكون هدايا يبعثها الزوج الى الفتاة ، لا كثمن ولكن كرمز لتقديره لها واعجابه بها. فارسال الخطيب هدية في وقتنا الحاضر الى فتاته دليل ايضاً على تقديره واثبات لهذه العلاقة الجديدة — وقد يكون المهر الذي يدفعه الزوج معناه شراء حقوق زوجته من أبيها — كما انه في بعض الاحيان قد يدفع الزوج أيضاً مبلغاً من المال لوالد الفتاة بعد ولادة الاطفال كثمن لشراء حقوق هؤلاء الصغار

في البلاد التي صار ارسال الهدايا أو تقديم المهور شائعاً بين افرادها ، تقدر قيمة الفتاة بمقدار هذا الثمن فقيمتها بين اهلها تتناسب مع القدر الذي دفع في سبيلها

لذلك كان التفاخر بدفع المهور تفاخراً بقيمة هذه الزوجة ، إلا أن هذه التقاليد أخذت

في الاضمحلال ، لا سيما عند دخول عوامل جديدة مثل حرية المرأة في الموافقة على الزواج والعوامل الاقتصادية الاخرى . وقد يحدث في بعض البلاد ان التغالي في دفع هذه المهور يحدو بالسلطات القائمة — كما حدث في بعض انحاء روسيا القديمة أو حديثاً على ما اظن في بلاد فارس — ان تحدد مقداراً من المال لا تتعداه المهور لكي يساعد هذا على اقدام الفتيان على الزواج

ومن المتعارف أن جزءاً من هذا المهر الذي يدفعه الزوج يكون حقاً للفتاة . وهذا بدوره يرجع حقاً الزوج يتصرف فيه . فالنتيجة التي قد تتدرج اليها هي ان الزوج بينا نراه يقدم بعض الهدايا اذا بالزوجة تدفع مهراً للرجل كدليل على ان عائلة الزوجة لا تسعى الى ثمن مادي من الزوج كقيمة لفتاتهم . ويحدث ان الزوج عند مقابلة زوجه للمرة الاولى ان يقدم لها هدية أو مبلغاً من المال . ففي بعض انحاء مصر تمتنع الفتاة (كما رأينا) عن التكلم الى زوجها الجديد — تحت تأثير التعاليم التي تلقنها اياها أمها — حتى يقدم لها جملاً أو ضريبة

وقد يتأخر ذلك الى الصباح ، فيقدم الزوج الى الفتاة ما نعرفه بهدية الصباح التي ليست في الحقيقة مهراً جديداً ولكنها دليل يقدمه الزوج اعترافاً بعفاف زوجته وطهرها

جدول يبين العلاقة بين التزاوج وبين سن المتزوجين والمتزوجات في مصر

السن	الذكور			الأناث		
	التعداد	غير المتزوجين	المتزوجون	التعداد	غير المتزوجات	المتزوجات
١٥—١٩	٦٦٩٫٨٠٠	٦٤٢٫٠٩٨	٢٤٫٥١٤	٦٠٢٫٨٩٢	٣٧٤٫٤٦٦	٢١٣٫١٤٥
٢٠—٢٩	١٫٠٧٦٫٥٣٠	٥٠٤٫٥١٣	٥٤٠٫٠٠١	١٫٢٠٧٫٣٤٦	٩٣٫٤٦٠	١٫٠٣٤٫٣١٧
٣٠—٣٩	٩٦٩٫٠٣٣	٧١٫٣٢٢	٧٦١٫٧١٠	٩٩٤٫١١٧	١٥٫٩٧٩	٨٥٩٫٦٨٢
٦٠ومافوق	٤٢٣٫٢٨٤	٤٫٩٩٥	٣٦٠٫٦٥١	٩٤١٫٠٥٨	٣٫٨٤٣	١٠٤٫٤٧٣
المجموع	٦٫٩٤٥٫٨٥٧			٧٫٠٠٦٫٤٠٧		

النتائج (١) ان عدد الاناث من المصريين يزيد بنحو ٥٢ الف عن عدد الذكور

(٢) النسبة المئوية لغير المتزوجين بعد سن الستين هي ٢ر١ ٪

(٣) النسبة المئوية لغير المتزوجات بعد سن الستين ½ ٪

وهذا يؤيد انتشار الزواج (في مصر)

(٤) السن الذي يكثر فيه تزوج الفتيات هو بين ٢٠٫٢٩

(٥) السن الذي يكثر فيه عدد المتزوجين هو بين ٣٠٫٣٩

(٦) عدد المتزوجين من (الشبان) بين ٢٠٫٢٩ يقدر بنصف عددهم في بند (٥)

جدول يبين احصاء المتزوجين (المسلمين) في مصر ، مع بيان المتزوجين بزوجة واحدة او اكثر ، ثم النسبة المئوية لتعدد الزوجات

المحافظة او المديرية	عدد المتزوجين	ذوو زوجة واحدة	المتزوجون باكثر من زوجة	النسبة المئوية لتعدد الزوجات
جرجا	١٦١٬١٥٧	١٥٦٬٩٨٩	٤١٦٨	٢٫٥٨
القنال	٢١٣٬٦٥٨	٢١٢٬٠٩٥	٥٦٣	٢٫٥٩
اسيوط	١٧٦٬٨١٩	١٧٢٬٢١٠	٤٦٠٩	٢٫٦٠
اسكندرية	٨٩٬٧٧٢	٨٦٬٩٤٦	٢٨٢٦	٣٫١٤
المنيا	١٣٩٬٥٨٦	١٣٤٬٩٧٣	٤٬٦١٣	٣٫٣١
اقسام الحدود	٣٬٥٧٨	٣٬٤٤١	١٣٧	٣٫٨٢
القاهرة	١٨١٬٤٨٦	١٧٤٬٥٣٠	٦٬٩٥٦	٣٫٨٣
فنا	١٦٣٬٠٤٠	١٥٦٬٧٦٩	٦٢٧١	٣٫٨٤
بني سويف	٩٧٬٢٥٩	٩٣٬٢٤٢	٤٠١٧	٤٫١٣
اسوان	٤٥٬٣٠٩	٤٣٬٣٨٤	١٩٢٥	٤٫٢٥
الصحراء الجنوبية	٥٬٠٤٨	٤٬٨٣٣	٢١٥	٤٫٢٥
الجيزة	١٢١٬٢٥٣	١١٥٬٨٢٧	٥٤٢٦	٤٫٤٧
المنوفية	٢١٧٬٤٨٨	٢٠٧٬٥٤٣	٥٩٤٥	٤٫٥٧
القليوبية	١١٣٬٤٩٦	١٠٨٬٠٠٣	٥٤٩٣	٤٫٨٤
الفيوم	١٠٨٬٨٨١	١٠٢٬٩٥٩	٥٩١٢	٥٫٤٣
الغربية	٣٢٠٬١٦٠	٢٩٩٬٥٤٨	٢٠٬٦١٢	٦٫٤٣
الدقهلية	١٩٦٬٥٢٦	١٨٥٬٠٤٨	١١٬٤٧٨	٦٫٨٦
الشرقية	١٨٦٬٢٥٨	١٧٢٬٩٠٧	١٣٬٣٥١	٧٫١٦
الصحراء الغربية	١٠٬٠٦٠	٩٬٣٢٨	٧٣٢	٧٫٢٧
البحيرة	١٦٨٬٨٤٨	١٥٥٬٩٨١	١٢٬٨٦٧	٧٫٦٢
جملة عمومية	٢٬٥٤٢٬٨١٨	٢٬٤٢٠٬٣٦٢	١٢٢٬٤٥٦	٤٫٨١

(نتائج) ١ — نسبة تعدد الزوجات اقل في المدن لاسيما الساحلية وكذلك في المناطق الصغيرة

٢ — « « « اكبر في المناطق الصحراوية

(وهذه النتائج تؤيد النظريات التي ذكرت بالمقال) مأخوذ عن احصاء سنة ١٩٢٧

« لبحث بقية »

احمد عطية الله

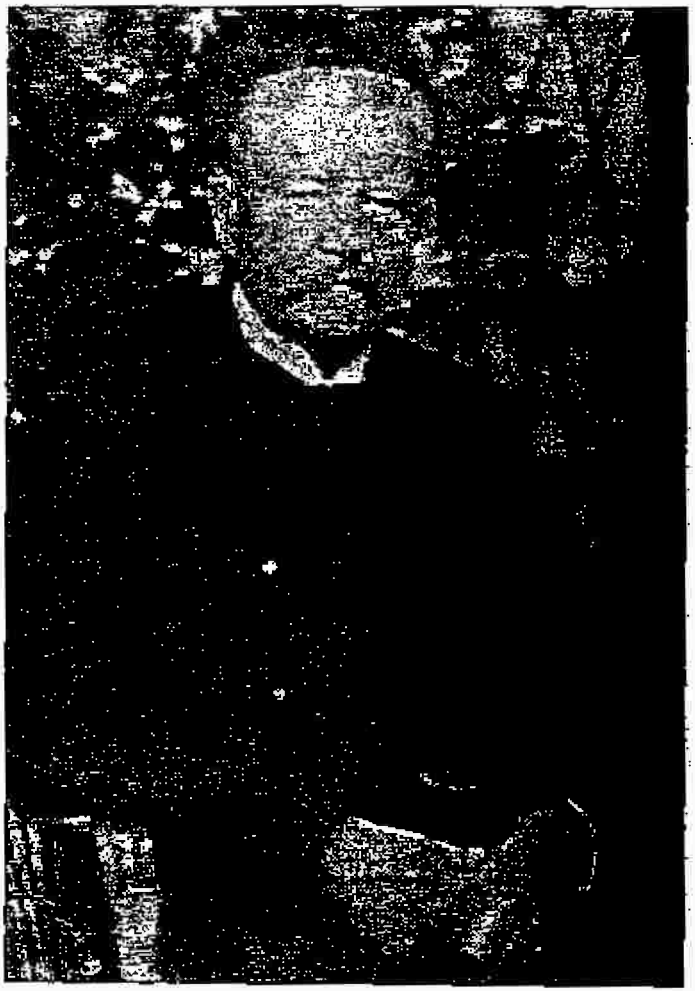

هندنبرج

ملاق الحرب والسلام

مقتطف ابريل ١٩٣٢ — امام صفحة ٤٦٣